

آليات البناء السردى فى الخطاب القصصى النبوى
**Mechanisms of narrative construction
in the prophetic narrative discourse**

الملىقى الدولى

الحديث النبوى الشرىف وآليات تحليل الخطاب

11 و 12 شعبان 1443هـ الموافق: 14 و 15 مارس 2022م

د/إلهام علول

المدرسة العليا للأساتذة - قسنطينة

تارىخ الاستلام: 2022/..../. تاريخ القبول: 2022/..../. تاريخ النشر: 2022 /07/28

ملخص:

يعد الخطاب القصصى أحد أهم الأشكال النصية التى وردت فى الأحاديث النبوية الشريفة، وقد حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نرصد آلياته البنائية من خلال نموذجين مختلفين أحدهما قصير جدا (قصة الرجل الذى قتل 100 نفس) ويعد النموذج الآخر الأطول فى القصص النبوي على الإطلاق (قصة أصحاب الأخدود) وذلك من أجل تحديد الخصوصية السردية على مستوى البنية الخطابية ممثلة فى: الصيغة السردية الزمن والفضاء.

الكلمات المفتاحية: آلية، البناء السردى، الخطاب القصصى، الحديث النبوي الشرىف

Abstract

Storytelling is one of the most important textual forms of Prophetic Hadith Through this research paper we have tried to monitor its construction mechanism through two different models;

and the other is) the man who killed 100 person (One is very short in) people of the ditch (the longest of the Prophetic Hadith ever order to determine narrative specificity at the level of the rhetorical structure represented in the narrative formula ,time and space.

Keywords: mechanism, narrative structure, narrative discourse, the noble Prophet's hadith

مدخل: الفن القصصي وإشكالية التجنيس:

القصص جمع مفردة قصة، فعله الماضي مضَعَفَ قصّ وقد جاء في معجم مقاييس اللغة⁽¹⁾ وفي لسان العرب.⁽²⁾ بمعنى التتابع، وسوق الأخبار في تعاقب وتتال وقد غلب طابع الإخبار على فعل (قص) لارتباطه في كثير من المواقع بلفظ نبأ أو أنباء، وعموماً فإنّ قص والقصص قد دارت مدلولاتها حول معنيي الإخبار والإنباء، وبالتالي أخذت طابعها السردية في تقديم مجموعة من الأحداث المتوالية في الزمن.⁽³⁾

وعليه فإنّ مفهوم القصّ أو القصص كامن في المعنى اللغوي ومنجز من خلاله فهو «رواية الحديث أو الخبر وبيانه والإعلام به، وتتبع أجزائه جزءاً جزءاً من بدايته حتى نهايته، يغلب عليه أن يكون متعلقاً بماضيين سالفين، كما يغلب عليه الامتداد الزمني». ⁽⁴⁾

ورغم ما اعترى فنّ القص من تطوّر واختلاف في شكله ومضمونه عبر مسيرة حياته الطويلة، إلّا أنّه ما زال يدور حول مكتسبات ثابتة تتعلّق بالسرد والإخبار عن حياة في تفاصيل خاصّة تختار بعناية فائقة تتناسب وذوق الفنان والدلالات التي يرمي إليها.

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة. (تح) عبد السلام محمد هارون). ج 5. ط 3. مكتبة الخانجي بمصر. 1981. ص 11.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب. م 11. ط 2. دار صادر، بيروت. 2003. ص ص 120 - 121.

(3) ينظر: سعيد، جبار: الخبر في السرد العربي. الثوابت والمتغيرات. ط 1. شركة النشر والتوزيع - المدارس (د م) 2004. ص 18.

(4) إبراهيم، صحراوي: السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنىات. ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون/ منشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر. 2008. ص 28.

ولقد اكتسحت القصة الساحة الأدبية منذ ق 19 بأشكال وأنماط مختلفة فظهرت : القصة والرواية والقصة القصيرة والقصة القصيرة جدا وتختلف تعاريف القصة الفنية باختلاف الدارسين ووجهات نظرهم إلى مكوناتها وهي في عمومها تؤكد على أن القصة «سرد لحوادث ووقائع أو لجزء منها متصل بماضي جماعة من الناس أو فرد بذاته سردا منظما أو غير منظم معتمدا على إبراز الحقائق أو مصورا لخيال أو فيه مزج للأمرين معا متضمنا لقواعد فنية ولعناصر الحدث والشخصية والحبكة والبيئة والأسلوب ، كما يراد به وصف دقيق لسلوك شخص أو أشخاص وصفا منظما أو غير منظم حقيقة أو خيالا»⁵ وتصنف القصة على أنها حالة وسطى بين الرواية والقصة القصيرة⁶ فأما الرواية فتختلف عنها في كونها لا تتسع اتساعها ولا تشمل مساحة واسعة من الحياة والشخصيات والأحداث «وإذا كانت الرواية تعتمد على التجميع فإن القصة القصيرة تعتمد على التركيز»⁷ من ثم فالقصة القصيرة تقوم على تكثيف العناصر السردية وعلى وحدة البناء ووحدة الانطباع⁸ وعليه فالفرق بين القصة والرواية والقصة القصيرة يتحدد عموما في الطول الذي يترتب عليه تكثيف للعناصر السردية التي تشكل بنائيتها ، أما الصورة القصصية والمقالة القصصية فهما شكلان سرديان تسكن فيهما درجة الحرارة الدرامية لحساب الإيقاع الأدبي⁹ وأما القصة القصيرة جدا فهي تكثيف على تكثيف، إنها ذروة التأزم لحظة الانفراج.

أما فيما يتعلق بالقصة النبوية فيلاحظ أنها في عمومها لا تبلغ مساحات نصية واسعة لأنها جاءت لأهداف دينية تعليمية خاصة تتحقق بالتكثيف الدلالي والاقتصاد اللفظي اللذان يضمنان لها فعاليتها الوعظية وتضطلع بما تقوم به

القصة في القرآن من أهداف عامة⁽¹⁰⁾ تتعلق في عمومها بإثبات وحدانية الله وإحياء ذكر الأنبياء والصالحين وتصديقهم والدعوة إلى الحق والأخلاق والفضائل.⁽¹¹⁾

⁵ علي عبد الخالق: الفن القصصي طبيعته، عناصره، مصادره الأولية. دار قطري بن الفجاءة، الدوحة. 1987. ص 88.

⁶ نجيب ، العوفي :مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية من لتأسيس إلى التجنيس. ط 1. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. 1987. ص 51.

⁷ رشاد، رشدي :فن القصة القصيرة. ط 5. المكتب المصري الحديث، مصر. 1982. ص 144.

⁸ ينظر : عز الدين إسماعيل : روح لعصر. دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، دار الرائد العربي، بيروت. ص 350.

⁹ ينظر: نجيب ، العوفي :مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية من لتأسيس إلى التجنيس. ص 56.

⁽¹⁰⁾ ينظر: فتحي، أحمد عامر: المعاني الثمانية في الأسلوب القرآني. ط 1. منشأة المعارف بالإسكندرية. 1993. ص 229.

⁽¹¹⁾ ينظر : سيد، قطب:التصوير الفني في القرآن. ط 13. دار الشروق، القاهرة/بيروت. 1993. ص ص 144-154.

ولن نعلم إلى إفراغ القصة النبوية في قالب من القوالب الفنية السابقة أو تنميطها لأنها وحي من الله تعالى تتجاوز مقاييس البشر لتؤسس لبنائيتها القصصية التي سنحاول أن نستبينها في ذاتها بعيدا عن التعسف في إخضاعها للأنواع السردية المعروفة ولأن المجال لا يتسع لدراسة القصة النبوية في جميع أشكالها وأنواعها¹² فسنعمد إلى نموذجين قصصيين مختلفين بالوصف والتحليل. فأما النموذج الأول فهو صورة قصصية مكثفة من حيث البناء السردى- لا نجرؤ على تسميته قصة قصيرة جدا- وأما النموذج الثاني فهو أكثر طولاً بل يعد أطول قصة نبوية على الإطلاق، تكثر فيه الأحداث وتعدد الشخصيات وتتنوع الحوارات بما يوحي بوجود عالم حكائي بامتياز.

أولاً- البناء السردى:

يتحدد زمن السرد في النموذج الأول بأنه لاحق لبداية القص إذ يحكي النبي صلى الله عليه وسلم عن قصة رجل من بني إسرائيل برؤية من الخارج¹³ يحافظ فيها على موقعه كراو غيري القصة غير مشارك في الأحداث¹⁴ ينقلها كما أوحيت له باعتباره نبي الله المبلغ عنه رسالته. تتميز القصة بتعدد صيغى-والصيغة هي الكيفية التي يتم بها تقديم القصة للمتلقى¹⁵- يتراوح بين سرد الأحداث/ الخطاب السردى وسرد الأقوال مع نزوع واضح إلى الإيهام بحوارية القصة من خلال توظيف

وينظر: محمد، عبد الرحيم: معجزات وعجائب من القرآن الكريم ولا تنقضي عجائبه. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. 1995. ص 161.

وأيضاً: السيد، عبد الحافظ عبد ربه: بحوث في قصص القرآن. ط1. دار الكتاب اللبناني، بيروت. 1972. صص 89 - 106. وأيضاً: محمد، فاروق النبهان: مقدمة في الدراسات القرآنية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب. 1995. ص356. ¹² للتوسع في أنواع القصص القرآني ومن ثم القصة النبوية ومعايير التصنيف ينظر كل من: صلاح، الخالدي: القصص القرآني. عرض وقائع وتحليل أحداث. ج1. ط1. دار القلم، دمشق/ الدر الشامية، بيروت. 1998. ص 28. وكذا محمد، عبد الرحيم: معجزات وعجائب من القرآن الكريم، ولا تنقضي عجائبه. ص 160. وأيضاً مأمون، فريز جزار: خصائص القصة الإسلامية. ط1. دار المنارة، جدة. 1988. ص 75. وأيضاً محمد، شديد: منهج القصة في القرآن. ط1. شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربية السعودية. 1984. ص 35.

¹³ ينظر: ترفيطان، تودوروف: مقولات السرد الأدبي. تر: سحبان الحسين وصفا فؤاد. ط1. منشورات إتحاد كتاب المغرب، الرباط. 1992. صص 58-

¹⁴ Voir J L dumortier et Fr Plazant. Pour lire le récit .ED duclot.1980.p112.

¹⁵ ينظر: ترفيطان، تودوروف: الشعرية. تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة. ط2. دار توبقال، المغرب. 1990. صص 45-46.

الخطاب المسرد والخطاب المنقول. فأما الخطاب السرد فيستهل القصة ويحدد إطارها الحكائي باستعمال صيغة القص (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا) ويحكم خاتمتها بقوله (فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له) ثم هو يتخلل مجريات التفاعل القصصي بين الشخصيات من خلال (خرج، أتى راهبا، فقتله، فناء بصدرة نحوها)

أما في سرد الأقوال فيغلب عليه الخطاب المسرد وهو الذي يتعد عن تقديم التفاصيل¹⁶ بل يستعيد مجريات الحوار، ويضبط حدودها بطريقة رائعة في قوله (خرج يسأل) فالعبارة تختصر حوارا مطولا بين التائب وبين الناس يطلب منهم أن يدلوه على من يستطيع الإجابة عن تساؤلاته، ولا يحدد عدد من سأل -ولا تزيد رواية مسلم على أن تحدد بدقة من الذي يسأل عنه بقوله "ص" "فسأل عن أعلم أهل الأرض" - وأيضاً في قوله "فجعل يسأل" ... إذ لم يقتنع الرجل بكلام الراهب فقتله وجعل يبحث عن عالم يشفي نفسه ويدله إلى الطريق إلى الله. وكذا في قوله: "فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب" فاختصر جميع الحوارات التي دارت بينهما من مثل ما جاء في رواية مسلم " فقالت ملائكة الرحمة، جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يفعل خيرا قط"

ويبدو أن استعمال الخطاب المسرد يوحى بالحوار ويفتح ذهن المتلقي ليتخيل المشهد كاملا ويتصور الصراع بين الملائكة في إقبالهم على التائب لمعرفة قيمة التوبة عند الله وإدبارهم عن العاصي ليقينهم في عدل الخالق عز وجل، إذ صوّر الخصام كيف أن التوبة والإقبال على الله، ولو أعقبها موت سريع مدعاة إلى تدخل ملائكة الرحمة للشفاعة لصاحبها والطمع في نجاته من النار، وجاء الخطاب المحوّل بشكل يتمازج فيه الخطاب غير المباشر بالخطاب المباشر¹⁷ في قوله: "فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى إلى هذه أن تباعدتي وقال: قيسوا ما بينهما" ويبدو أن توظيف هذا الخطاب إنما يدل على تدخل الله سبحانه وتعالى برحمته وقوته ليفصل في المسألة بقدرته التي تقول للشيء كن فيكون فالأرض قبضته وتحت إمرته، يقول لهذه القرية تقربي ولتلك تباعدتي حتى يكون عبده إلى أرض توبته أقرب لأنه يقبل التوبة عن عباده بل ويحبهم في العودة إليه، ويجزيهم على ذلك خاصة عندما تكون التوبة خالصة بالنية والفعل، إذ سأل الرجل عن ربه، وسأل عن شروط توبته وانصاع إلى آليات ذلك بالخروج من قريته إلى القرية التي يعبد الله فيها، كما أنه ناء

¹⁶ Voir G Genette .discours du récit. In figure 3. Ed du seuil .Paris. 1972.pp191-192.

¹⁷ ينظر جينيت جيرار: عودة إلى خطاب الحكاية. تر: محمد معتمد. ط1. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت. 2000. ص.63.

بصدره نحوها، وهو يشارف على الموت فكان جزاؤه رحمة واسعة من الله القوي القادر الذي يقول للشيء كن فيكون. وجاء الخطاب المباشر بعد ذلك بصيغة الأمر الصريحة (قيسوا ما بينهما) ليؤكد على أن رحمته سبقت عقابه وليبين أن المخلوقات جميعا طوع أمره لا تخالفه. وقد يتساءل متسائل أن الله عز وجل كان بإمكانه منذ البدء أن يفصل في المسألة ويغفر له ولكن سياق القصة إنما أراد -والله أعلم وأجل- أن يبين جماليات قبول الله للتائب المخلص بأن يغير من أجله معطيات الواقع. وقد يتساءل آخر بأن الله عز وجل كان بإمكانه أن يؤخر قبضه لروح هذا التائب حتى يقترب إلى أرض الصلاح وهنا تتجلى لنا لطائف - والله أعلم وأجل- في أن التوبة النصوح في حد ذاتها سبب لدخول الجنة، وفي أن لا أحد يدخل الجنة بعمله بل برحمة الله عز وجل، إذ تتبدى في هذه القصة الرحمة في أروع صورها كما تبين القصة أيضا أن الموت حق وموعده معلوم عند الله لا يتقدم ولا يتأخر، بل على الإنسان أن يسارع إلى الله وإلى التوبة حتى لا يباغته الموت وهو على الحرام وفي ذلك دعوة لعدم الاستهتار بالموت والإحساس بتراخي الزمن، وبطول الأمل. كما أن موت الرجل في هذه الحالة البين بين إنما هو درس ليتعلمه كل من الملائكة والإنسان معا، فالملائكة لا يعرفون إلا ما علمهم الله، لذلك صدر كل فريق عن معرفته، فملائكة الرحمة صدرت من أن رحمة الله وسعت كل شيء وأنه جل وعلا يفرح بتوبة عباده، في حين صدرت ملائكة العذاب، من أن الفعل لا بد أن يصدقه العمل، وفي حالة هذا الرجل تعلم كل من الملائكة والبشر أن فعل التوبة والإقبال على الله والخروج من الكفر والتوجه للعبادة مع إخلاص النية عمل صالح، ولأن الله وحده هو من يقبل التوبة عن عباده، ولأنه وحده يجازي عن الأعمال بغناه عن سواه ولأن الجنة يدخلها الإنسان برحمة الله لا بعمله، فقد غفر الله لهذا التائب فاستحق جنته.

ويلاحظ أن الخطاب المنقول الوحيد-وهو الشكل الأكثر محاكاة إذ يتح فيه السارد للشخصيات أن تتكلم بنفسها دون وساطة منه¹⁸ - الذي جاء في هذه القصة إنما كان في قوله "فأتى راهبا فسأله فقال له: هل من توبة. قال : لا " ونلاحظ ما في الإجابة من تسرع وحسمية، فالراهب العابد لله أخذته العزة بتعبه فإذا هو ينصب نفسه وسيطا بينه وبين الناس يمنعهم من الله ويقرر بدلا منه بقبول التوبة من عدمها، ولعل تداعيات هذه الـ"لا" هي التي بيّنت كيف أن الله وحده عز وجل يستطيع أن يقرر بشأن التائب ، وأنه إذا جاءه نادما أقبل الله عليه غافرا. إن هذه الـ"لا" أغلقت الحوار بفجاعتها، فالراهب لم يسأل الرجل عن جرائمه ولا عن أسبابها ودوافعها، بل أفحمه بـ "لا" التي أودت بحياته. ولعلنا نجد لقتله مبررا مسوغا من قبل

الرجل الذي قرر أن ينهي حياته لأنه أيقن أنه يحول بين الناس وريحهم والدليل على ذلك أنه لم يقتنع بإجابته ولم يرضى عنها، بل استمر في سؤاله عن التوبة لأنه كان موقنا أن الله هو الرب المالك للعرش والسموات والأرض الرحمان الرحيم الذي وحده يقبل التوبة عن عباده، ويجازيهم بعدله ورحمته على فعالهم. من ثم، فالراهب الذي ذكر بوصفه راهبا لم يكن يعبد الله حقاً، فهو يعبد اله لا يعرفه جيداً، إله يمكنه أن ينوب عنه وأن يقرر بدلا منه، لذلك فقد استحق القتل حتى لا يغلق باب التوبة على عباد الله ويهدمهم فيها ويدفعهم إلى التمادي في الفجور مادام لا مجال لتصحيح ما اقترف من قبل. فعباد الله لا يعرفون بألقابهم (رهبان، زهاد...) بل يعرفون بفعالهم وهم يرجون رحمة الله أن تحل بهم وبغيرهم إيماناً منهم بأنهم مهما تعبدوا فلن يصلوا أبداً إلى الاستحقاق بالجزاء، بل سيدخلون مثلهم مثل غيرهم الجنة برحمة من الله وليس بجدارة من قبلهم.

ويبدو أن الرجل كان مصراً على التوبة، رافضاً ألا يكون هنالك من سبيل إلى الله، مما ينم عن استبطانه لمعرفة عميقة بربه، باعتباره الإله القوي الرحمان الذي يقبل التوبة عن عباده ويتجاوز عن أخطائهم وعلى النقيض من الراهب الذي رد فقط بـ "لا" قاهرة، ظالمة، متكبرة، فإن العالم قد فهم منه بالمحاوره أنه يعيش في قرية سوء لذلك أرشده إلى تركها، والانتقال إلى القرية التي تعبد الله، ونستشف أن الرجل عندما خرج يسأل هل له من توبة لم يكن راضياً عن تصرفاته، ثم إننا لا نعرف من شأن الـ 99 الذين قتلهم شيئاً فلعله قتل دفاعاً عن النفس أو العرض أو المال ويبدو أن العالم عندما دله على قرية صالحة إنما أدرك أن القرية التي كان فيها أرض لا تقيم الحق ولا العدل ولا يمكن من النجاة بالعيش فيها إلا من خلال الجور والفتك، ومادام الرجل معرضاً بقلبه ونفسه عن ذلك، فإن حياته في غيرها لا شك كفيلة بصلاحه وتقواه.

أما في النموذج الثاني فتقوم القصة على المزوجة بين سرد الأحداث وسرد الأقول مع نزوع واضح نحو المسرحية. أما فيما يخص سرد الأحداث فيلاحظ فيه الاختصار والدقة، والبعد عن حشو القول، كما يلاحظ فيه أيضاً ارتباطه ارتباطاً مشيمياً بسرد الأقوال إذ لا يكاد يكون هنالك سرد للأحداث - لا يجاوز الجملة أو الجملتين - إلا وأردفه خطاب لسرد الأقوال من مثل: "كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك... و" إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم... أما فيما يخص سرد الأقوال فقد جاء منوعاً في صيغته المختلفة بين الخطاب المسرد الذي يختصر التفاصيل ويبقي فقط على جوهر النص، وبين المحافظة على خصوصية ما قيل بتوظيف الخطابين المباشر والمنقول.

فأما الخطاب المسرد وهو الأبعد مسافة والأكثر تقليصاً للكلام، فقد ورد للحم الأحداث ولاختصار أقوال كثيرة تفهم من السياق: وفيما يلي تحديد للمواضع التي ورد فيها الخطاب المسرد كما يلي:

الخطاب المسرد	بسط لبعض ما اختصره الخطاب من أقوال
- يعلّمه	يقوم التعليم على التواصل اللغوي
- يسمع كلامه	سمع منه وحاوره فيه وسأل عما استغلق فهمه، واستوضح منه
- قعد إليه	تحدث له بأشياء واستوضحه بشأنها وراجعها فيها.
- شكّا ذلك إلى الراهب	الشكوى تختصر جميع ما قاله مما أصابه من أذى الساحر ومما سمعه منه من تعنيف وإهانة
- أتى الراهب فأخبره	الإخبار يختصر رواية الغلام لتفاصيل قصته مع الدابة والناس
- سمع جليس للملك	سمع تختصر الأسئلة التي طرحها والحوارات التي أجراها ليصل إلى الغلام.
- جلس إلى الملك كما كان يجلس	الجلوس إلى الملك تختصر الحوارات التي يتبادلانها.
- دلّ عل الغلام/ الراهب	يختصر الفعل دلّ جميع الأقوال والحوارات التي دفعت إلى الدلالة على الغلام أو الراهب والاكراهات على ذلك
- أبي	تختصر صيغ التهديد وألوان الحث على نكران الله والمكابرة على الإباء

ويلاحظ مما سبق أن الخطاب المسرد يستهل القصة حتى لحظة إباء الغلام على الملك وزبانيته أن يرجع عن دينه ثم يفسح بعد ذلك المجال للخطابين المنقول والمباشر ليعمقا الإحساس بالحضور ومتابعة الأحداث عن كثب. ويبدو أن توظيف الخطاب المسرد مع الخطاب المباشر قد أوحى بحوارية القصة وأضفى عليها خصوصية المسرحية .

وقد غلب على القصة توظيف الخطاب المباشر الذي يحافظ للشخصيات على خصوصية قولها، وقد تردد من بداية القصة إلى نهايتها، بل كان صيغتها التي وقعت خاتمتها وفيما يلي بيان بالخطابات المباشرة التي وردت في القصة موضحة في الجدول الآتي:

صاحب الخطاب	نص الخطاب	التواتر
خطاب الساحر	إني قد كبرت، فابعث إلي غلاما أعلمه	1
خطاب الراهب	- إذا خشيت الساحر فقل: حسني أهلي وإذا خشيت	2

	أهلك فقل حبسني الساحر - أي بني. أنت اليوم، أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ	
4	- اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس - اللهم، اكفنيهم بما شئت - اللهم، اكفنيهم بما شئت	خطاب الغلام
4	- اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه - اذهبوا به فاحملوه في قرقور (السفينة الصغيرة)، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقدفوه - باسم الله رب الغلام	خطاب الملك
3	- آمنة برب الغلام، آمنة برب الغلام، آمنة برب الغلام	خطاب الناس
4	- إرجع عن دينك - إرجع عن دينك -أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس -اقتحم	خطاب الزبانية
1	-يا أمه اصبري فإنك على الحق	خطاب غلام المرأة

لقد تكثفت دلالة الخطاب المباشر بتبادله مع الخطاب المنقول لإضفاء الصبغة الحوارية على القصة التي بدت مشاهدتها بارزة للعيان وبالتالي مواقفها ظاهرة لاستنباط الحكمة واستجلاء العبرة التي لا تخفى على عاقل حتى أنها جاءت على لسان غلام المرأة في ختام القصة الذي أيقن وقد آمن مع الناس أنه على الحق، فجعل يثبت أمه لتستقبل حكم الملك الجائر بكل صبر وشجاعة... ويبدو أن الخطاب المباشر قد جاء أيضا ليختزل حوارا طويلا بين الشخصيات اختصره الخطاب المسرد ليفسح المجال للخطاب المباشر ليبرز كثيرا من خصوصيات شخصيات القصة ويحدد معالمها، مادام خطاب الإنسان جزء من تفكيره وشخصيته وقناعاته.

فخطاب الساحر ينم عن مكره ومداهنته للملك، وخبث نواياه، إذ حتى لما كبر، ظل متمسكا بالدينا، خائفا من أن يستغني عنه الملك، حريصا على أن يظل حلقة التواصل مع المستقبل، لذلك طلب من سيده أن يدفع له غلاما يعلمه السحر، ولعلي أشتم من وراء خطابه، بل من صيغته أنه لم يكن ينوي أن يعلم أحدا سحره، بل إنما أراد أن يوهم الملك بفضله وبأنه مازال يحتاجه، وأن في جعلته ما يجعله -رغم كبره- مهما محتاجا إليه .

ولعل في طلبه من الملك غلاما يعلمه السحر وجهان أولهما أن يبقى علمه حكرا على الملك، فلا يُعلم إلا واحدا ممن يختاره الملك بنفسه من خاصته حتى لا يخرج هذا المكر إلى العامة ويشيع بينهم وبالتالي ييهت تأثيره فيهم وعليهم، وثانيهما أنه إنما أراد الحظوة عند الملك -كما سبق قوله- وأن يبقى دائما مدلا عليه، مقربا منه. كما يدل خطاب الساحر أيضا على أنه شخص بغيض، إذ لم يختَر بنفسه غلاما يعلمه من معارفه أو عائلته، بل ردّ الأمر إلى الملك في الاختيار للأسباب المذكورة سابقا.

في جميع الأحوال فقد أفرد هذا الخطاب بصيغته ليعرّي هذه الشخصية المقيتة التي تقتات من علمها، ولا تشيعه بل تجعله حكرا على من يخدم مصالحها، ولعلنا نستشف أيضا من معاملته للغلام إذ كان يضربه إذا تأخر، أنه لم يكن راغبا في تعليمه إلا مكرها، وأنه وهو البخيل الدنيوي الحقيير - لا يمكنه أن يستوعب طفلا صغيرا ولا أن يجب له العلم والتعلم على يديه، لذلك انصرف عنه الغلام وزهد في الاستفادة منه.

أما بالنسبة لخطاب الراهب، فهو أيضا يدل على أنه داعية لله بالحق، لا يختار من يقدم له علمه، بل هو يبذله لكل مرید وقد جاء في المرّتين في خطاب مباشر مع الغلام، في كليهما يظهر معلما شفيقا بتلميذه بل يترقى المتعلم على يديه ليبلغ مرتبة الولد منه مما يدل على محبته له وحرصه على نقل معارفه إليه، ففي الخطاب الأول يدل على الطريقة التي يتخلص بها من ظلم الساحر ومن قلق الأهل عليه بأن احتال له بصيغة لغوية تمكنه من مجالسته للاستفادة منه والتعرف إلى ربه دون أن يتعرض لأذى أهله والساحر، وفي المرة الثانية يؤكد له انقضاء مدة تتلمذه على يديه، لأنه حفظ درسه جيدا واستوعبه عميقا إلى درجة أنه لم يعد بحاجة إليه، فقد أصبح أكثر قربا منه إلى الله واقدر منه على فائدة الناس ودعوتهم إلى ربه.

ويبدو الراهب -في الحالتين- مطالبا إياه بالكتمان، الأولى كتمان تعلمه على يديه وفي الثانية: كتمان أمر أنه معلمه، وفي الأولى إشفاق عليه وفي الثانية إشفاق على نفسه، في الأولى إشفاق على الطالب أن يتعرض لأذى الأهل أو الساحر فيحجب عن التعلم فلا يتمكن من الاستفادة وهو التلميذ الذكي النبيه، وفي الثانية إشفاق على نفسه أن يعرف أمره، ويحرم من فرصة إبلاغ دين الله للناس.

ويظهر الراهب في الحالتين رجلا صالحا مؤمنا بالله يسعى لإشاعة المعرفة بالخالق لا يبغي على ذلك

أجرا، ولا يرتد عن دينه حتى لو شق رأسه إلى نصفين.

أما خطاب الغلام المباشر فقد جاء في صيغة دعاء يطلب فيه الغلام من ربه أن يؤيده مرة لينقذ الناس من الدابة ومرتين بالصيغة ذاتها ليمنع عنه أذى الملك، وليس في ذلك طلبا للنجاة بنفسه، بل رغبة في إظهار قدرة الله على قدرة البشر بدليل أنه كان يأتي ماشيا إلى الملك متحديا غروره وخطورته في كل مرة، وأما خطاب الملك فقد جاء في ثلاث مرات أمرا لزبانته بإنفاذ عقوبته على الغلام مرتين وعلى الناس في المرة الأخيرة، والمرة الوحيدة التي لم يكن يأمر فيها فقد جاءت ترديدا للصيغة الوحيدة التي عرضها عليه الغلام حتى يتم قتله، وبالفعل تم له ذلك.

ويلاحظ أن الملك والغلام هما الشخصيتان الوحيدتان اللتان تشتركان في الخطاب المنقول والخطاب المباشر معا من دون بقية الشخصوص.

ويبدو الملك من خلال خطابه المباشر طاغية متجبرا، لا يحجم عن سوء ولا يعرف الرحمة، شديد الظلم والقسوة، وهو إلى كل ذلك أحرق غبي - ككل جبار - إذ توهم وقد أيقن أن لا مجال لقتل الغلام أنه سيجرب صيغته ليقتله وينتهي أمره، ولم ينتبه إلى أنه إنما صرّح بألا إله إلا إله الغلام الذي يحيي ويميت، فكان ذلك سببا في إيمان الناس وإقبالهم على ربه، رغم الوعيد والتهديد والعقاب الشديد بل الموت الأكيد. أما خطاب الزبانية فقد فضح انصياعهم للملك وتنفيذهم لأوامره، مهما كانت موعلة في الظلم والقسوة والتجبر، إذ لم يرحموا طفلا ولا امرأة ولا شيخا ولا عابدا ولا عددا كبيرا من الناس، وقد جاء في ثلاث صيغ أمر "ارجع عن دينك / اقتحم" ليس فيها تفكير ولا مراجعة، ولا تأنيب ضمير، وأما الصيغة الرابعة فقد جاءت سؤالا تحريضا على الفتك وإغراء بالقتل، وإيغالا للصدر ونفثا لسموم الاستشفاء بالناس وطلب عقابهم.

ويظهر من خلال هذا الخطاب كيف أن منفذي قرارات الملك الظالم هم شركاء في جرمته، ليس باعتبارهم مجبرين على طاعة الأوامر بل لأنهم كانوا أيضا منفذين لها بقناعة وتشف ووحشية.

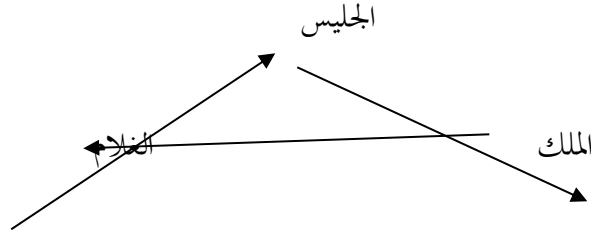
أما خطاب الناس فهو صيغة إيمانية مكثفة تعكس قناعة عميقة بالله تعالى الذي ليس هو الملك كما أوهمهم بذلك من قبل ولذلك قالوا (رب الغلام) أي آمنا بهذا الرب القوي الذي وحده يحيي ويميت، ووحده يبرئ ويشفي، ووحده يدفع الأذى ويجلب الرزق، من ثم فكل من سواه رغم غطرسته وظلمه لا يُخشى ولو شق الأخاديد وأضرم النيران وأحرق بلا رحمة.

أما خطاب الغلام لأمه، فهو غاية في الروعة لأنه يحوصل نتيجة التعلم من التجربة الواقعية فهو يدفع أمه - كما دفع الغلام البطل الناس من قبل - إلى التمسك بدينها لأنهم على الحق.

ولعل وصفه بالغلام الذي لم يسم بطل الشخصية الأساسية إلا به دليل على أن الفطرة النقية السليمة أقدر على استيعاب مفهوم الله من روح تشبعت بالغرور والغطرسة والماديات (الملك/ الساحر/ الزبانية). أما بالنسبة للخطاب المنقول فقد جاء كالآتي:

شخص الخطاب المعروض	خصوصيته
الغلام وجليس الملك	آ من الجليس
الملك/ جلسيه	افتضاح أمر الغلام
الملك والغلام 1	افتضاح أمر الراهب
الملك والغلام 2	الجبيل/ معجزة
الملك والغلام 3	السفينة/ معجزة
الملك والغلام 4	حيل الغلام

يلاحظ من خلال الجدول السابق أن الخطاب المنقول يضطلع به ثلاث شخص في شكل تبادلي كالآتي:



يظهر أول خطاب معروض بين جلس الملك والغلام وهي المحطة الأساسية التي تصل فيها دعوة الحق إلى قصر الملك بل إلى مجلسه، ويفرد الرسول "ص" لهذه الخطابات المعروضة مساحة ليتمكن المتلقي من حضور المواقف بنفسه حتى يتسنى له الحكم عليها بعقله وجوارحه جميعا. فجلس الملك كان أقرب الناس إلى هذا الإله المزعوم ومع ذلك فقد عمي، ولعله قد عمي بعد أن جرب عليه الملك بعض طلاس ساحره الخبيث وبالتالي فقد استبطن معرفة عميقة - وهو جلس الملك - بأنه ليس إله ولما سمع بالغلام وأتاه جلب له معه هدايا كثيرة يستميله بها فإذا بالغلام زاهد فيها غني بإلهه عمن سواه، لأن ربه غني عن الناس جميعا .

لقد كانت تصورات الجليس قائمة على ما تم تلقيه له من قبل، وعلى ما خبره فيما سبق، فاعتقد أن الصبي يشفي، وأنه ربما كان الإله الحقيقي بدلا من الملك، ولأنه عرف من الملك جشعه وحبه للمال، فقد توهم أن إغداقه على الغلام المال كفيلا بتحقيق رجائه في الشفاء من عماءه، لكن الغلام رد بحسمية المؤمن الواثق بربه: أنه لا يشفي، بل يشفي الله - والله قوي غني مستغن عن الناس، يحتاجونه ولا يحتاجهم، لأنه

إلههم الذي يستحق العبادة فان عبوده وآمنوا به وسألوه أجابهم فهو قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وهو الإله الواحد الأحد الذي يقول لأي شيء كن فيكون. ولقد عاين الجليس ذلك، واختبر قدرة الله وصدق الغلام، فأمن.

ويأتي المشهد الثاني ليمتحن فيه الجليس عن مدى إيمانه وصدقه، بل ليكون بدوره فرصة للملك ليراجع نفسه ويتعرف على ضعفه كمخلوق. جاء سؤال الملك حاسماً "من رد عليك بصرك؟ فقال : ربي". وهنا تظهر وضاعة الملك وخسته وكبرياؤه الزائف. لقد أجابه الجليس عن سؤاله بأن الذي يرد البصر هو الرب. ومادام عاجزا عن رد بصر جليسه فإنه ليس برب، ولكن غروره واستكباره يدفعانه إلى العناد الغبي والغرور المجروح فيسأله: "ولك رب غيري؟" فيصفعه الجليس ليرد عليه عقله: "ربي وربك الله": إنك لست إلهاً وكيف تدعي ذلك ولا تستطيع على شيء مما يفعله الإله. وينتهي المشهد. بإفحام الملك الذي لم يجد ما يرد به عليه إلا العذاب ليدله على الذي غير قناعاته تجاهه، وأحدث في نفسه كل هذا الوعي الجديد.

وتنتقل القصة بنا إلى مشهد آخر في السياق ذاته يستكمل المنحى القصصي بالطريقة الحوارية الرائعة بين الملك والغلام في هذه المرة: حيث يبدو الملك في البداية راغباً في استعادة الغلام إلى صفة فهو الذي دفعه إلى تعلم السحر، ويبدو من خلال استهلاله لخطابه بلفظة: إي بني، أنه ربما كان ابنه في الحقيقة، فما كان ليدفع للساحر بمن يعلمه أسرار التحكم بالناس إلا من يعتقد أنه جزء منه واستكمال لمملكته.

كما يلاحظ أيضاً أنه بدا في البداية فخوراً به معتقداً أن ما يفعله هو تمكن عظيم مما تعلمه من سحر، كما يبدو أيضاً أنه يريد أن يثبت فيه روح الغرور والتعالي وأن يذكره في الآن ذاته أنه يعلم أنه ليس إلهاً حتى لا يدعي ذلك لنفسه.

لقد اعتقد الملك أنه بصدد غلام تعلم السحر وبرع فيه، وربما أزاحه عن سلطانه فذكره بأنه ابنه وامتداد له، وهو سبب ما هو فيه من تمكن، لكنه تفاجئ عندما رد الغلام القدرة إلى ربه، وأقر بعبوديته له. لقد كان أهون على الملك أن يرى الغلام إلهاً من أن يراه عبداً، فربما قاسمه إلهيته المزعومة التي يخدمها السحر ويوطئ أركانها إيهاً الناس بالقدرة الفائقة، لكن الغلام وقد نبذ عنه كل هذا الزيف، فهو خطر على الملك ودولته، ولأنه فهم أن ما عند الغلام من كفاءة ليست من طريق السحر، فقد أراد أن يعرف أولاً هوية هذا المعلم لأنه رأس الحية التي لا بد أن تقطع فبانصراف هذا الأخير عن دينه فرصة لإعادة الغلام إلى جادة الصواب — كما كان يعتقد — لكنه يصطدم بقناعة راسخة من قبل الراهب وعقيدة متينة لا يمكنها أن تتزعزع إذ يشق رأسه ولا يغير دينه.

ويبدو أن الملك قد توهم أن في القضاء على الراهب ردعاً لتابعيه فبدأ به، ثم انتقل إلى جليسه الذي

يمثل انشقاقا عليه في عمق قصره لكن إباءهما رغم وحشية التعذيب وبشاعة الإرهاب- كان دافعا له لعقاب الغلام أيضا ، وطبعا فالابن الذي لا يعبد أباه أخطر عليه من أي إنسان آخر، لذلك كان على الغلام أن يختار بين الرجوع عن دينه أو الموت ، وربما لأنه ابنه رتب له سفرا بعيدا، وموتا يقنع نفسه من خلاله بأنه حادثه، وربما لأنه صغير جعل يرهبه بما يخشاه الأطفال عادة من السقوط من مرتفع أو الغرق في عرض البحر، وفي كل مرة كان يعود فيها الغلام إلى الملك -ولعل في عودته أيضا إشارة إلى أن الملك هو أبوه، لذلك فهو لا يريد الهرب منه بل دعوة مملكته إلى الله -ينكسر جبروت الطاغية، ويوقن بضعفه وبهزيمته، وفي آخر حوار بينهما وقد تضعع الملك وخارت قواه، وخشي على مملكته من إتباع هذا الغلام الذي يرفض إلهه أن يدعه يموت ينصاع إليه أو ينزل على رأيه ويفعل بما يشير به عليه، دون أدنى تفكير في عاقبة ما سيقول إذ سيعترف أخيرا أمام الناس من ألا سبيل لقتل الغلام إلا إذا أراد رب الغلام ذلك.

وبذلك فهو يعترف بعجزه كانسان، وبقوة رب الغلام لأنه الإله.

وهكذا يبدو أن التعدد الصيغي في هذه القصة كان موظفا بشكل محكم، إذ وظف الخطاب السردى لربط الأحداث وإحكام بنيتها، في حين جاءت خطابات سرد الأقوال صورا إيحائية بمسرحة الأحداث، إذ يتم الانتقال بسلاسة مدهشة من الخطاب المسرد الذي يختصر تفاصيل حوارية كثيرة باستعمال ألفاظ خاصة يمكنها الإيحاء بذلك من مثل: (شكا - أخبره- أبل...). إلى الخطاب المباشر الذي يرتبط بشخصيات بعينها ليحدد ملامحها وخصوصية فكرها. أو الخطاب المنقول الذي يعرض المشاهد الحاسمة والمفصلية في تغيير مجريات الأحداث .

ويوظف الرسول "ص" الرؤية من الخارج، فهو راو غير مشارك في الأحداث بل سارد غيري يروي قصة الغير¹⁹ يصفها دون تدخل منه البتة في أحداثها حتى يترك العبرة لمن يتلقى القصة ليفهم مغزاها مادام قارب شخصياتها، وشهد محاوراتهم ووقائعهم ومواقفهم.

ثالثا- البناء الزمني:

يتأسس زمن القصة وهو زمن الأحداث²⁰ ، في الزمن الماضي الذي يتحدد بالفعل الماضي (كان) وبتصاله بزمن بني إسرائيل الذين حرّفوا دينهم وباعوه بعرض من الدنيا. وبالتالي فالرجل التائب لم يبق له من معرفة بالحدود السماوية إلا استشعار عميق للإثم وتوق طاغ إلى الله، والأمر سيان بالنسبة لمن يعيش معهم

¹⁹ Voir idem.pp251-260.

²⁰ Voir idem.p.72

مما اضطره للخروج من قريته بحثا عن بصيص نور يدفعه إلى خلع ثوب الذنوب وإسباغ ستر الفضائل. يمضي زمن الخطاب وهو التنظيم الزمني وفق رؤية القاص²¹ في خط تسلسلي سبيبي يبدأ بخروج الرجل بحثا عن دينه إلى أن غفر الله له أما من حيث سرعته السردية أي رصد الاختلافات الإيقاعية في الحكوي²² فإننا نلاحظ مزاجية بين الحذف الضمني وهو القفز على فترات زمنية دون حكيها دون الإشارة إلى الزمن المحذوف²³ والتلخيص وهو حكي أحداث كثيرة بلغة مركزة²⁴ مع توظيف أسلوب مشهدي واحد، فالقصة تبني على تكثيف وتركيز للأحداث بحيث جاءت لحمة فنية واحدة مترابطة لغويا باستعمال الفاء السببية التي تفيد التراخي والتي من خلالها ينهض الحذف الضمني مدد زمنية يتم القفز عليها إذ لا مجال للإطالة في تفاصيلها إذ لا نعرف شيئا عن زمن مكوث الرجل في قريته ولا متى استشعر الرغبة في التوبة وكم لبث سائلا عنها وأما المشهد الوحيد الذي يتساوى فيه زمن القصة بزمن الخطاب فيتمثل في المحاورة السريعة بين التائب والراهب ونلاحظ أن ماضي كليهما متعلق برؤية كل منهما للمستقبل .

الراهب
ماض من التعبد
تم نفي الماضي بكلمة لا
فالراهب يعدم ماضيه حين يدعي أن لا مجال للتوبة أي أن ماضيه التعبدي جعله يغتر بعمله ويغتر بإلهه بل جعله ينصب نفسه إلهًا يحرم الناس من المغفرة ويدفعهم إلى الانغماس في المعصية إذ لا سبيل إلى الخلاص منها.

التائب
ماض من المعصية
تم نفي الماضي بالتوبة
أما التائب فقد نفي ماضيه من الجرائم بإقباله على الله مخلصا، بخروجه سائلا، بإلحاحه وبنوئه بصدده إلى القرية الصالحة رغبة في أن يبدأ مستقبلا أفضل.

72²¹ Voir idem.p.123²² Voir idem.p.140-139²³ Voir idem.pp129²⁴ Voir idem.p

أما في النموذج الثاني فيتحدد الإطار الزمني للقصة بين مرحلتين عمريتين مختلفتين (تبدأ بالساحر الذي كبر والذي يريد غلاما يلقيه سحره/ وبين الغلام الذي يغري أمه باقتحام النار بصبر وشجاعة لأثما على الحق !!! ولا وجود لمؤشرات زمنية في القصة، لأن الزمن الديني هو زمن متراخ من تجارب إنسانية مكرورة بين الإيمان والكفر، لا أهمية فيها للحقبة التاريخية، بل تضطلع العبرة والخاتمة بالأهمية المنفتحة على المستقبل، لأن الماضي هو صورة للآن وعبرة من السابقين لللاحقين . ويتدرج بناء زمن الخطاب بصورة محكمة كالآتي:

1- بداية الأحداث ويوافق مرحلة التعلم 2-مرحلة اكتساب الوعي (باختبار المعرفة التي تم تلقيها من قبل الساحر والراهب/ الدابة)3-مرحلة ممارسة الدعوة (مع الناس/ المجلس) 4المواجهة مع الملك 5- الخاتمة

ويظهر الساحر في المرحلة الأولى، ويمثل الماضي الذي تم تجاوزه بانصراف الغلام عنه وزهده فيما يتلقاه منه. أما الغلام الذي لا يظهر باسمه بل بارتباطه بمرحلة عمرية معينة فيمثل محطة مهمة في القدرة على التمييز بين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر للوصول إلى حقيقة الذات الإلهية والارتباط بها فيكون تكثيفا زمنيا لمفهوم "الغلام" الذي يدفع أمه أيضا إلى التحلي بالصبر والجلد لمقاومة الباطل والتمسك بالحق.

ويعضي زمن الخطاب في خط تسلسلي، يتضح فيه محور الزمن للإفضاء بالأحداث إلى خاتمتها بتوظيف مميز لقدرات زمنية إلى الأمام وإلى الوراء، فأما الأولى ففي توظيف الاستشراف من قبل الراهب الذي أيقن بأن الغلام -وقد بلغ هذه المرتبة من تأييد الله له- ممتحن لا محالة، إذ سينتشر خبره، ويدخل في مواجهة فاصلة مع الملك، لذلك طلب منه ألا يدل عليه، فهو يدرك أنه حينها سيخبر بين دينه وبين دنياء، وهو سيختار دينه من غير شك ولكنه كان يرجو أن تتاح له فرصة أطول لدعوة الناس وعبادة الله أكثر، وأما القفز للوراء فقد جاء في شكل استرجاعات داخلية تعود إلى ماض لاحق لبداية الرواية تأخر تقديمه في السرد²⁵ ففي قوله "كان قد عمي" أو "جلس إليه كما كان يجلس" هو استرجاع داخلي غيبي يتناول مضمونا قصصيا يختلف عن مضمون الحكاية الأولى بإدخال شخصية حديثا إلى السرد²⁶ إذ يضيء شيئا من ماضي هذا المجلس وقد دخل إلى الأحداث، ولعل هذا الماضي هو الذي يجعله متعلقا بزمن الغلام لأنه يمثل المستقبل الذي فتح عينيه على حقيقة أن الملك الذي كان يجالسه منذ زمن بعيد مجرد عبد وليس إله. وأما الاسترجاع

.91²⁵ Voir idem.p-92-100²⁶ Voir idem.pp

الداخلي المثلي التكراري فيعود إلى الوراء للتذكير بأحداث سبق الوقوف عليها²⁷ فقد ورد في قوله " فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام" إذ في ذلك استعادة لدعوة الغلام للجليلس وكذا قوله "حتى دل على الراهب" ففي ذلك عودة بالأحداث إلى تعلم الغلام على يد الراهب، وقوله "قد بلغ من سحرك" فهو يستعيد بنا القصة من جديد إذ توهم الملك أن كفاءة الغلام متأتية من تعلم السحر وأنه صاحب الفضل في ذلك لأنه هو من دفع به إلى الساحر ليعلمه. ولقد ساهمت هذه الاسترجاعات جميعا في تثبيت أحداث القصة في الأذهان واسترجاع تفاصيلها. أما من حيث السرعة السردية فالقصة تقوم على المزاجية بين التسريع والتبطيء فأما التسريع فقد تم باستعمال الحذف الذي يقفز على مدد زمنية طويلة غير محددة تحديدا دقيقا من مثل (فلما كبر/ فبينما هو كذلك/ فسمع- فذهبوا به...) وغيرها وكذا من خلال الحمل الذي يلخص أحداث كثيرة في زمن خطابي قصير من مثل: فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي... وأما التبطيء فمن خلال توظيف المشاهد التي توحى بالحضور وتزيد في حدة تأزم الأحداث لبلوغ منتهاها.

ويتأسس المغزى العام من القصة بأنها تبدأ من زمن حكائي (كان) وتنتهي بزمن أمر تثبيتي على الحق، تبدأ بخطاب سردي وتختتم بخطاب مباشر يمثل حوصلة ما تريد القصة أن تقوله في جملة مختصرة تتحدى جبروت الظالم الذي يحرق في الدنيا ويكون مصيره النار خالدا فيها يوم القيامة لأن صيحة الغلام ستظل خالدة (يا أمه، اصبري، فإنك على الحق).

ثالثا- البنية الفضائية:

لا تحدد القصة النبوية الإطار المكاني بدقة فالقصة مفتوحة على المكان كما هي من قبل مفتوحة على الزمان وإن كانت تشير إلى العديد من الأفضية الجغرافية المختلفة من مثل (القرية - الطريق - الجبل - البحر-الأحدود..). ويلاحظ أنها لا تعرف بأية خصوصية مكانية، اللهم إلا ارتباطها الوثيق بالشخصيات كما يلاحظ أيضا أن المكان هو الذي يطبع الخاتمة في القصتين لأنه هو المآل الذي يتوق إليه الإنسان في النهاية.

هذا ونجد في القصتين بؤرتين مكانيتين يرتبط بهما الحدث ويحدث الصراع حتى يصل إلى ذروته. فأما في النموذج الأول: فيظهر المكان المحطة وهو المكان الذي يستعمل كنقطة انطلاق فقط نحو مكان آخر²⁸ ويعد المكان الذي قبض فيه الرجل وتحديده بدقة بالمقارنة بالقرية التي كان فيها، والتي يريد أن يعيش فيها

95-92²⁷ Voir idem.pp

²⁸ ينظر: شاعر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية. ط1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 1994. ص.20.

فيصلا بين دخوله الجنة أو النار، ولأن من تقرب إلى الله شبرا، تقرب الله إليه باعا والباع عند الله سبب في الفوز والمغفرة.

أما في النموذج الثاني فيعد الأخدود-وهو أيضا مكان محطة- تجسيدا لذروة البطش الإنساني وتعبيرا عن عمق الانفلات الشعبي من سطوة الملك، الذي انتقل من التهديد والوعيد إلى العقاب الشديد، فكان وصف الأخدود تصويرا لمدى يأس الملك وعجزه عن ردّ الناس عن دينهم ولعل إضرامه النيران بتلك الوحشية إنما هو استهامة بئسة وتشبث أخير بصورة الإله القادر المعذب بالنار، لكن شتان بين إنسان يدعي أنه إله يعذب بالنار، وبين إله يعذب بالنار من أجل ترك دينه، ويختار الناس الإقبال على نار الدنيا حبا فيه ورغبة في جنته.

وتنتهي القصة بمشهد عميق يصور الرؤية الحقيقية للأخدود بنيرانه المضطربة باعتباره نقطة عبور إلى جنة الخلد ونعيم الحياة الأبدية.

أما فيما يخص الفضاء العام الذي تنهض فيه القصتان فيتحدد بتقاطب كبير ذلك أن الثنائيات الضدية هي الشكل الذي يطبع الحياة²⁹ ويتمثل في تقاطب الإيمان/الكفر، الذي يتجسد بسياق القصة وأحداثها وزمنها وكذا شخصها .

أما النموذج الأول فتظهر فيه الثنائيات بشكل عميق، وينتقل الصراع من العالم الأرضي إلى العالم العلوي: تبدأ القصة بصراع إنساني لبيان آليات الفوز في العالم السماوي، ويشكل كل من العالم/الراهب قطبا يمثل الاتجاه الإيماني في حين يمثل القاتل التائب القطب الثاني، لكن سرعان ما نكتشف أن العالم/الراهب لا يصدران من الخلفية الإيمانية ذاتها، ففي حين أفتى الراهب بـ"لا" النافية للتوبة، أنكر العالم الحيلولة بين الإنسان وربه، وينكسر التقاطب ليتشكل من جديد إذ يمثل التائب والعالم الطرف المؤمن ويشكل الراهب الطرف المقابل .

وبذلك يظهر مفهوم جديد للفوز بالمغفرة مفاده التوبة والرجوع إلى الله والإقلاع عن الذنوب والخروج من قرية السوء إلى القرية الصالحة وعبادة الله معها، وليس الاغترار بالعبادة وجحود الناس حقهم في رحمة الله بهم. ويتجلى الصراع محتدما، والموقف متأزما حين يقدم التائب على قتل الراهب ليظهر بشكل سفاح مروع، لكن الفسحة الإيمانية التي أتاحتها له العالم قلبت الموازين رأسا على عقب. ويبدو أن هذا الصراع نفسه، قد

²⁹ينظر: غاستون باشلار: جماليات المكان. تر: غالب هلسا. ط4. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. 1996. صص 144-206.

انتقل إلى الملائكة الذين انقسموا فريقين أحدهما يعتد بعدل الله والآخر برحمته. وحسما لهذا الصراع كله تتدخل العناية الإلهية لتعليم البشر والملائكة على حد سواء أن رحمة الله سبقت سخطه، وأن مغفرته سبقت عقابه.

أما فيما يخص النموذج الثاني فتظهر أيضا ثنائيتا الكفر والإيمان بارزة جلية، يبدأ الصراع أيضا باللبس على المريدين بين الفريقين المؤمن والكافر، إذ يظهر الغلام مترددا بين الراهب والساحر، وإن انحاز بفطرته السليمة منذ البداية إلى الراهب، حتى اختبار الدابة، حيث أدرك أن مذهب الراهب هو الطريق إلى الله، وأن شرعة الساحر هي السبيل إلى خدمة الملك الذي ليس هو الله.

من ثم يبدأ التقاطب في التشكل بصورة واضحة، تضم في طرف جميع اللذين أيقنوا بالفطرة والتجربة أن رب الغلام هو الله المعبود، وأن الملك مجرد إنسان عاجز مجرم، أما الطرف الثاني فيضم الملك الخائف المدعي المتوحش وزبائنه الماديين المتكالبين على الدنيا، المستمتعين بسلطة البطش، الموصدين آذانهم عن صوت الحق والإيمان.

ونخلص بعد هذه الجولة السردية في رحاب القصة النبوية إلى أن النبي "ص" رسول يوحى له من السماء ليبلغ الناس قصص الأولين كي يعلمهم دينهم ويرسخ لهم معرفتهم بربهم، ويثبتهم على الحق، مهما تلقوا من صعاب ومحن، ومهما أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي لأن العقوبة دوما للمتقين.

الملاحق:

النموذج الأول: البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. مركز الدراسات والإعلام/دار إشبيليا، الرياض. م. 2. ج. 4. ص. 149.

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ص قال : كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال له : هل من توبة . قال : لا . فقتله . فجعل يسأل فقال له رجل إئت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدرة نحوها فاختمت فيه مائة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له .

النموذج الثاني: قصة أصحاب الأخدود، والساحر والراهب والغلام. صحيح مسلم بشرح النووي (نسخة مقابلة على نسختين خطيتين موافق للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث بإشراف حسن عباس قطب

دار عالم الكتب. ط1. 2003. الرياض السعودية. ج17 الجزء السابع عشر. كتاب الزهد والرقائق (90) صص 126-128.

73 (3005) حدثنا هدا بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاماً أعلمه، فكان في طريقه، إذا سلك، راهب فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني. أنت اليوم، أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ، وكان الغلام يبصر الأكمه، والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إنني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت أمنت بالله دعوت الله فشفاك، فأمن بالله، فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال ربي:، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إنني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى. فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس للملك فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم، اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور (السفينة الصغيرة)، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقدفوه، فذهبوا به فقال:

اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه إلى جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: رأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخذت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فاحملوه فيها، وقيل له، اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه؟ اصبري: فإنك على الحق"

فائمة المصادر والمراجع

1- العربية

- 1- إبراهيم، صحراوي: السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات. ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون/ منشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر. 2008.
- 2- رشاد، رشدي: فن القصة القصيرة. ط 5. المكتب المصري الحديث، مصر. 1982.
- 3- سعيد، جبار: الخبر في السرد العربي. الثوابت والمتغيرات. ط 1. شركة النشر والتوزيع- المدارس (د م) 2004.
- 4- السيد، عبد الحافظ عبد ربه: بحوث في قصص القرآن. ط 1. دار الكتاب اللبناني، بيروت. 1972.
- 5- سيد، قطب: التصوير الفني في القرآن. ط 13. دار الشروق، القاهرة/بيروت. 1993.
- 6- شاکر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية. ط 1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 1994.
- 7- صلاح، الخالدي: القصص القرآني. عرض وقائع وتحليل أحداث. ج 1. ط 1. دار القلم، دمشق/ الدر الشامية، بيروت. 1998.
- 8- عز الدين إسماعيل: روح لعصر. دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، دار الرائد العربي، بيروت.
- 9- علي عبد الخالق: الفن القصصي طبيعته، عناصره، مصادره الأولية. دار قطري بن الفجاءة، الدوحة. 1987.

- 10- غاستون باشلار: جماليات المكان. تر: غالب هلسا. ط4. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. 1996.
- 11- فتحي، أحمد عامر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني. ط1. منشأة المعارف بالإسكندرية. 1993.
- 12- مأمون، فريز جزار: خصائص القصة الإسلامية. ط1. دار المنارة، جدة. 1988.
- 13- محمد، شديد: منهج القصة في القرآن. ط1. شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربية السعودية. 1984.
- 14- محمد، عبد الرحيم: معجزات وعجائب من القرآن الكريم ولا تنقضي عجائبه. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. 1995.
- 15- محمد، فاروق النبهان: مقدمة في الدراسات القرآنية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب. 1995.
- 16- نجيب، العوفي: مقارنة الواقع في القصة القصيرة المغربية من اتأسيس إلى التحنيس. ط1. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. 1987.

ثانيا: المراجع المترجمة

- 1- تزفيطان، تودوروف: الشعرية. تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة. ط2. دار توبقال، المغرب. 1990.
- 2- تزفيطان، تودوروف: مقولات السرد الأدبي. تر: سحبان الحسين وصفا فؤاد. ط1. منشورات إتحاد كتاب المغرب، الرباط. 1992.
- 3- جينيت جيرار: عودة إلى خطاب الحكاية. تر: محمد معتصم. ط1. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت. 2000.

ثالثا: المعاجم والقواميس:

- 1- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة. تح (عبد السلام محمد هارون). ج 5. ط3. مكتبة الخانجي بمصر. 1981.
- 2- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب. م11. ط2. دار صادر، بيروت. 2003.

رابعا: المراجع الأجنبية

G Genette .discours du récit. In figure 3. Ed du seuil .Paris.
-1 1972.pp191-192.

-2J L dumortier et Fr Plazant. Pour lire le récit .ED duclot.1980